بسم الله الرحمن الرحيم

حِوَارُ الأَبنَاءِ مَطْلَبٌ تربويٌّ

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، قَصَّ لَنَا قصَصَ السَّابِقِينَ، وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ حِوَارٍ وَجِدَالٍ، لِنَأْخُذَ الأُسلُوبَ الحَسَنَ وَطَيِّبَ المِثَالِ، نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى جَزِيلِ النِّعْمَةِ وَالفَضلِ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى عَظِيمِ الخَيْرِ وَالمَنِّ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَـهُ، أَمَـرَ المُـؤْمِنِينَ بِالشُّورَى وَجَمِيلِ الحِوَارِ، وَحَثَّ عَلَى أَنْ تَتَعَاقَبَ عَلَى ذَلِكَ الأَجْيَالُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، خَيْرُ مَنْ دَعَا بِحِكْمَةٍ، وَحَاوَرَ جَمِيعَ النَّاسِ بِاتِّزَانٍ، وَعَلَـى ذَلِـكَ رَبَّى الأُمَّةَ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَعَلَى كُلٍّ مَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1]، وَاعلَمُوا – وَفَّقَكُمُ اللهُ – أَنَّ نِعْمَةَ العَقْلِ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ عَلَى الإِنْسَانِ، فَقَدْ جَعَلَهُ مُوَجِّهًا لأَقْوَالِهِ، وَقَائِدًا لِجَوَارِحِهِ وَأَفْعَالِهِ، عَلَى وَفْقِ الضَّوَابِطِ الخُلُقِيَّةِ، وَالمُقْتَضَيَاتِ الإِيْمَانِيَّةِ، وَلَمَّا كَانَ مِنْ طَبِيعَةِ الإِنْسَانِ الجِدَالُ، وَمِنْ سَجِيَّـتِهِ حُبُّ النِّقَاشِ وَالحِوَارِ، كَمَا قَالَ المَولَى جَلَّ جَلالُهُ: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[2]، فَقَدِ اعتَنَى القُرآنُ الكَرِيمُ عِنَايَةً بَالِغَةً بِالحِوَارِ؛ فَرَسَّخَ مَبَادِئَهُ فِي أَذْهَانِ المُؤْمِنِينَ، تَارَةً بِالأَمْرِ الصَّرِيحِ بِانْتِهَاجِ هَذَا الأُسلُوبِ القَوِيمِ، كَمَا فِي الأَمْرِ الرَّبَّانِيِّ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأُمَّـتِهِ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[3]، أَوْ بِانْتِهَاجِ مَنْهَجِ الجِدَالِ الحَسَنِ، كَمَا فِي قَولِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[4]، وَتَارَةً بِوَصفِ المُؤْمِنِينَ فِي مَعْرِضِ مَدْحِهِمْ بِقَولِهِ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[5]،

---

(١) سورة آل عمران / ١٠٢ .

(٢) سورة الكهف / ٥٤ .

(٣) سورة آل عمران / ١٥٩ .

(٤) سورة النحل / ١٢٥ .

(٥) سورة الشورى / ٣٨.

وَمَرَّةً بِذِكْرِ تَفَاصِيلِ كَثِيرٍ مِنَ الحِوَارَاتِ وَالنِّقَاشَاتِ؛ كَحِوَارِ الأَنْبِيَاءِ مَعَ أُمَمِهِمْ وَأَقْوَامِهِمْ، وَحِوَارِ الصَّالِحِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَاشْتَمَلَ الكِتَابُ العَزِيزُ عَلَى نَمَاذِجَ كَثِيرَةٍ مِنَ الحِوَارِ وَالنِّقَاشِ، وَفَنَّدَ الحُجَجَ الَّتِي يَتَعَلَّقُ بِهَا الَّذِينَ يُشَكِّكُونَ فِي قَضَايَا الإِيْمَانِ، وَرَدَّ اعتِرَاضَاتِهِمْ، بِأَرقَى الأَسَالِيبِ الَّتِي عَرَفَهَا التَّأْرِيخُ، لِيُقَدِّمَ أُنْمُوذَجًا عَمَلِيًّا لِمَنْهَجِ الحِوَارِ مَعَ الآخَرِينَ، وَلِيَتَرَبَّى النَّاسُ عَلَى مَبْدَأِ الحِوَارِ البَنَّاءِ الهَادِفِ، فَتَتَعَايَشَ بِهِ الأُمَمُ فِيمَا بَيْنَهَا، وَتَقُومَ عَلَيْهِ عَلاقَاتُ أَفْرَادِ المُجتَمَعِ، تَحقِيقًا لِغَايَةِ التَّمَاسُكِ العُظْمَى، وَتَوطِيدًا لِسُبُلِ التَّعَايُشِ المُثْلَى، وَإِذَا كَانَ الحِوَارُ مَطْلُوبًا بَيْنَ عُمُومِ النَّاسِ، لِلتَّفَاهُمِ وَزَوَالِ الظُّنُونِ وَالالتِبَاسِ، فَإِنَّهُ فِي الأُسْرَةِ المُؤْمِنَةِ أَهَمُّ وَأَولَى، فَالحِوَارُ الإِيْجَابِيُّ أَسَاسٌ فِي عَمَلِيَّةِ التَّرْبِيَةِ وَالبِنَاءِ، فَهُوَ اللُّغَةُ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَشِيعَ فِي العَلاقَةِ بَيْنَ الأَبَوَيْنِ وَأَبْنَائِهِما، وَهُوَ فِي هَذَا الزَّمَانِ بِالذَّاتِ أَشَدُّ إِلْحَاحًا مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى، إِذْ فِي عَصْرِنَا مَوَارِدُ شَتَّى، وَعَوَامِلُ كَثِيرَةٌ، تَسِيرُ عَلَيْهَا العَمَلِيَّةُ التَّرْبَوِيَّةُ، بِفِعلِ الانْفِتَاحِ الثَّقَافِيِّ وَالفِكْرِيِّ، وَتَعَدُّدِ وَسَائِلِ الإِعْلامِ، وَتَنَوُّعِ مَصَادِرِ الأَفْكَارِ، فَهُنَاكَ الفَضَائِيَّاتُ وَشَبَكَةُ المَعلُومَاتِ وَأَجْهِزَةُ الجَوَّالِ وَغَيْرُهَا، وَبِحَرَكَةٍ سَرِيعَةٍ يَنْتَقِلُ الإِنْسَانُ إِلَى عَوَالِمَ بَعِيدَةٍ وَمُخْتَلِفَةٍ عَنَّا كُلَّ الاخْتِلافِ، بِمَا فِيهَا مِنْ قِيَمٍ وَأَفْكَارٍ وَتَصَوُّرَاتٍ، وَبِهَذَا اخْتَلَفَتْ مَشَارِبُ الأَجْيَالِ، فَمَا كَانَ مِنْ أُسلُوبِ عَيشٍ اعتَدتَهُ – أَيُّهَا الأَبُ – قَدْ لا يَتَقَبَّلُهُ الأَوْلادُ، وَمَا نَشَأْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَفْكَارٍ قَدْ تَجِدُ خِلافَهُ عِنْدَ الأَحْدَاثِ وَالصِّغَارِ، وَهَذِهِ هِيَ سُنَّةُ اللهِ، وَحِكْمَةُ التَّجْدِيدِ فِي الحَيَاةِ، فَمَا الَّذِي يَجْمَعُ هَذِهِ الأَجْيَالَ، وَمَا لُغَةُ التَّفَاهُمِ السَّلِيمَةُ بَيْنَ الآبَاءِ وَالأَبنَاءِ؟ إِنَّهُ الحِوَارُ البَنَّاءُ.

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

كُلُّنَا يَسْعَى لِحِوَارٍ يُقَرِّبُ بَينَنَا وَبَيْنَ أَوْلادِنَا، يَكُونُ وَسِيلَةً لِلتَّفَاهُمِ الحَقِيقِيِّ، وَيُسْهِمُ فِي تَقْوِيمِ السُّلُوكِ وَالتَّقَارُبِ الفِكْرِيِّ، وَرُبَّمَا تَسَاءَلَ بَعْضُكُمْ: هَلْ كُلُّ حِوَارٍ وَنِقَاشٍ كَفِيلٌ بِهَذِهِ الثِّمَارِ وَالمَنَافِعِ؟ أَمْ إِنَّ لِلْحِوَارِ مَعَ الأَبنَاءِ قَوَاعِدَ وَضَوَابِطَ؟ فَلْنَنْظُرْ فِي كِتَابِ اللهِ، وَلْنَتَأَمَّلْ قَولَ الخَالِقِ جَلَّ وَعَلا: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[1]، وَقَولَهُ عَزَّ قَائِلاً عَلَيْمًا عَنْ أَهلِ

(١) سورة النحل / ١٢٥ .

الكِتَابِ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾(١)، نَجِدُ أَنَّ مِنْ الحِوَارِ مَا هُوَ حَسَنٌ، وَمِنْهُ مَا هُوَ مَذْمُومٌ غَيْرُ مُستَحْسَنٍ، وَلَعَلَّ تَجَارِبَ مَنْ خَبَرُوا التَّرْبِيَةَ وَأَسَالِيبَهَا، تُنَبِّئُهُمْ أَنَّ مِنَ الحِوَارِ مَا يَكُونُ عَقِيمًا يُبَعِّدُ وَلا يُقَرِّبُ، وَرُبَّمَا قَطَعَ طَرِيقَ التَّآلُفِ، وَبَاعَدَ بَيْنَ القُلُوبِ، وَمِنْ هُنَا نُدْرِكُ أَنَّ الحِوَارَ حَتَّى يَكُونَ بَنَّاءً، لا بُدَّ أَنْ يَقُومَ عَلَى قَوَاعِدَ، وَيُرَاعِيَ عِدَّةَ نَوَاحٍ، وَمَنْ تَأَمَّلَ حِوَارَ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مَعَ أَقْوَامِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَجَدَهُ يُقَرِّرُ هَذِهِ الحَقِيقَةَ، فَهَلُمَّ بِنَا نُعَرِّجْ عَلَى بَعْضِ تِلْكَ الحِوَارَاتِ الرَّاقِيَةِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾(٢)، هَا هُوَ أَبُو الأَنْبِيَاءِ نُوحٌ – عَلَيْهِ السَّلامُ – يُعَلِّمُنَا أُولَى قَوَاعِدِ الحِوَارِ، وَهُوَ يَظَلُّ فِي حِوَارٍ هَادِئٍ مَعَ قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا، إِنَّهُ الصَّبْرُ وَعَدَمُ التَّذَمُّرِ وَاليَأْسِ، فَمَا بَالُ بَعْضِ الآبَاءِ – وَهُمْ يَحفَظُونَ سُورَةَ نُوحٍ وَيُدْرِكُونَ قِصَّةَ هَذَا النَّبِيِّ العَظِيمِ – مَا بَالُهُمْ يَنْفَدُ صَبْرُهُمْ مَعَ أَبنَائِهِمْ فِي أَيْسَرِ الحِوَارَاتِ؟ فَيَكْتَفُونَ بِتَسْطِيرِ الأَوَامِرِ، وَالنَّقْدِ المُبَاشِرِ، ثُمَّ لا يُسْمَعُ لِلابْنِ أَوِ البِنْتِ أَيُّ تَعقِيبٍ، وَإِنْ فَعَلَهُ فَقَدْ قَلَّ أَدَبُهُ وَسَاءَ خُلُقُهُ، فَيُغْلَقُ بَابَ الحِوَارِ، فَلا يَصِلُ الأَبُ إِلَى غَايَتِهِ، وَلا يَقْتَنِعُ الابْنُ فَيَستَفِيدَ صَلاحًا وَتَقْوِيمًا، وَلا يَقُولَنَّ قَائِلٌ: إِنَّ الأَبنَاءَ لا يَتَقَبَّلُونَ، وَإِنَّهُمْ عَنِ النَّصِيحَةِ دَائِمًا مُعْرِضُونَ، فَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ تَنْوِيعِ أُسلُوبِ النِّقَاشِ، وَاغْتِنَامِ الفُرَصِ المُنَاسِبَةِ، وَالأَسَالِيبِ الَّتِي تُلائِمُ كُلَّ فَرْدٍ؟ أَلَمْ يَقْرَأْ هَؤُلاءِ قَولَ الحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى لِسَانِ هَذَا النَّبِيِّ العَظِيمِ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا، فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا، وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا، ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا، ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا، فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾(٣)، اغْتِنَامٌ لِلأَوقَاتِ وَالأَحْوَالِ المُنَاسِبَةِ: لَيْلاً وَنَهَارًا، إِسْرَارًا وَإِعْلانًا، وَتَرغِيبًا وَتَحْبِيبًا، وَتَأْمِيلاً وَتَرْسِيخًا لِلتَّفَاؤُلِ، بِأُسلُوبٍ كُلُّهُ رَحْمَةٌ وَلُطْفٌ، وَمَعَ مَنْ؟ مَعَ قَوْمٍ أَعْرَضُوا عَنِ الإِيْمَانِ، وَأَغْلَقُوا آذَانَهُمْ عَنِ الاستِمَاعِ لِلْبَيَانِ؟ فَكَيْفَ نَنْأَى بِأَنْفُسِنَا عَنْ ذَلِكَ وَنَحْنُ نُحَاوِرُ أَوْلادَنَا

(١) سورة العنكبوت / ٤٦.
(٢) سورة الأنعام / ٩٠.
(٣) سورة نوح / ٥-١٠ .

وَفِلْذَاتِ أَكْبَادِنَا، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ كُلُّ الوُدِّ وَالاحترَامِ؟ أَلَمْ يُعَلِّمْنَا النَّبِيُّ الكَرِيمُ ﷺ أَنَّ الرِّفْقَ زِينَةُ الأُمُورِ، حِينَ قَالَ – عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ –: ((إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ))، أَمَا رَبَّتْنَا سُنَّتُهُ ﷺ عَلَى أَنَّ الغَضَبَ وَالانْفِعَالَ يَقُودُ إِلَى الضَرَرِ وَالشُّرُورِ، فِي وَصِيَّتِهِ الخَالِدَةِ لِمَنْ جَاءَهُ مُستَوْصِيًا، فَقَالَ لَهُ: ((لا تَغْضَبْ، لا تَغْضَبْ، لا تَغْضَبْ))، فَلْنَخْتَرِ الوَقْتَ المُنَاسِبَ لِلْحِوَارِ، وَلْنَتَحَلَّ بِالهُدُوءِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، فَإِنَّ الصَّبْرَ وَطُولَ البَالِ يُحَقِّقَانِ الكَثِيرَ مِنَ الآمَالِ، وَلَقَدْ نَجَحَ السَّيِّدُ المُرَبِّي مُحَمَّدٌ ﷺ فِي حِوَارَاتِهِ مَعَ أَوْلادِهِ وَأَزْوَاجِهِ، بَلْ مَعَ كُلِّ النَّاسِ، فَمَا اتَّخَذَ ﷺ العُنْفَ قَطُّ، وَمَا ضَرَبَ بِيَدِهِ شَيْئًا قَطُّ، فَكَيْفَ نَجَحَتْ تَوْجِيهَاتُهُ وَحِوَارَاتُهُ؟ إِنَّهُ رِفْقُهُ وَلِينُهُ الَّذِي أَشَادَ بِهِ القُرآنُ الكَرِيمُ، وَعَزَا مَحَبَّةَ النَّاسِ إِلَيْهِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾(١).

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

إِنَّ الحِوَارَ الهَادِفَ لا بُدَّ أَنْ يَقُومَ عَلَى مَدِّ جُسُورِ الثِّقَةِ بَيْنَ الأَبِ وَأَوْلادِهِ، وَهَذَا لا يَتَأَتَّى إِلاَّ بِفَهْمٍ جَيِّدٍ لِنَفْسِيَّةِ كُلِّ ابْنٍ وَظُرُوفِهِ وَأَحْوَالِهِ، وَوَعْيٍ بِمُتَطَلَّبَاتِهِ وَاحتِيَاجَاتِهِ، وَاحترَامِ مَشَاعِرِهِ وَأَفْكَارِهِ، وَتَقْدِيرِ رَغَبَاتِهِ وَهِوَايَاتِهِ، مَعَ التَّوَاضُعِ الجَمِّ وَالأُسلُوبِ الرَّفِيعِ، تَأَمَّلُوا – رَحِمَكُمُ اللهُ –حِوَارَ سَيِّدِنَا يُوسُفَ – عَلَيْهِ السَّلامُ – مَعَ صَاحِبَيِ السِّجْنِ، لَقَدْ كَانَ بِودِّهِ أَنْ يُقَدِّمَ لَهُمَا نَصِيحَةً إِيْمَانِيَّةً إِرشَادِيَّةً بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ، وَلَكِنَّهُ احترَمَ رَغْبَتَهُمَا فِي مَعْرِفَةِ تَعْبِيرِ رُؤْيَاهُمَا، وَظُرُوفَهُمَا الَّتِي يَمُرَّانِ بِهَا فِي السِّجْنِ، فَبَدَأَ بِوَعْدِهِمَا بِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا فِي أَقْرَبِ فُرْصَةٍ، ثُمَّ نَسَبَ عِلْمَهُ إِلَى رَبِّهِ تَوَاضُعًا وَاعترَافًا بِالفَضْلِ، وَبَعْدَهَا دَخَلَ فِي مَوضُوعِهِ، فَقَالَ: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ﴾(٢)، إِنَّ إِعْطَاءَ الطِّفْلِ احترَامَهُ وَقِيمَتَهُ، وَإِشْعَارَهُ أَنَّ مُرَبِّيَهُ حَرِيصٌ عَلَى مَصْلَحَتِهِ يَفْتَحُ قَلْبَهُ، وَمِنْ وَسَائِلِ ذَلِكَ مُخَاطَبَتُهُ بِالأَلْفَاظِ وَالكُنَى الطَّيِّبَةِ، وَهَكَذَا هِيَ خِطَابَاتُ الأَنْبِيَاءِ

(١) سورة آل عمران / ١٥٩ .

(٢) سورة يوسف / ٣٧.

وَالصَّالِحِينَ الَّتِي أَوْرَدَهَا القُرآنُ قُدْوَةً، تَأَمَّلُوا وَصِيَّةَ لُقْمَانَ لابنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ، لا تَخْلُو جُمْلَةٌ مِنْهَا مِنْ عِبَارَةِ " يَا بُنَيَّ "، وَحَتَّى مَعَ ابْنِ النَّبِيِّ نُوحٍ الَّذِي صَدَّ عَنْ دَعْوَةِ أَبِيهِ، نَجِدُ أَبَاهُ – عَلَيْهِ السَّلامُ – يُخَاطِبُهُ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ الرَّقِيقَةِ، دَاعِيًا لَهُ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ، مُشْفِقًا عَلَيْهِ مِنْ مَصِيرِ المُعَانِدِينَ، ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1]، إِنَّ مِنَ احترَامِ نَفْسِيَّةِ المُخَاطَبِ، وَمِنَ الوَصَايَا الَّتِي يُوْصِي بِهَا المُخْتَصُّونَ فِي التَّرْبِيَةِ عَدَمَ التَّوْجِيهِ المُبَاشِرِ فِي عِلاجِ الخَطَأِ، وَإِنَّمَا التَّنْبِيهُ بِالإِشَارَاتِ، وَالتَّلْمِيحُ مَا دَامَ الطِّفْلُ سَيَصِلُهُ المُرَادُ، وَذَلِكَ يَتَأَكَّدُ عِنْدَ وُجُودِ آخَرِينَ حَالَ الحِوَارِ، وَكُلُّكُمْ – أَيُّهَا المُرَبُّونَ الفُضَلاءُ – يَعْرِفُ حِوَارَ سَيِّدِ المُرَبِّينَ ﷺ وَهُوَ يُوَجِّهُ الطِّفْلَ الَّذِي كَانَتْ يَدُهُ تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ: ((يَا غُلامُ: سَمِّ اللهَ تَعَالَى، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ))، فَلَمْ يَتَّخِذِ المُصْطَفَى ﷺ التَّوْجِيهَ المُبَاشِرَ وَسِيلَةً، بَلِ ابتَعَدَ عَنِ الإِحْرَاجِ وَالتَّجْرِيحِ، وَأَوْصَى الغُلامَ بِثَلاثِ وَصَايَا، كَانَ آخِرُهَا عِلاجُ الخَطَأِ، بِحَيْثُ لا يَفْهَمُ الجَالِسُ مَعَهُمَا فِيمَ أَخْطَأَ الغُلامُ.

فَاتَّقُوا اللهَ –عِبَادَ اللهِ–، وَتَدَبَّرُوا مَا جَاءَ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ مِنْ هَدْيِ الأَنْبِيَاءِ؛ لِتَهتَدُوا بِهَدْيِهِمْ فِي حِوَارِكُمْ وَنِقَاشِكُمْ، وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي أُسلُوبِ الحِوَارِ الرَّاقِي مَعَ أَبنَائِكُمْ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، جَعَلَ الحِكْمَةَ فِي قُلُوبِ المُتَّقِينَ، وَالاتِّزَانَ فِي صُدُورِ العَارِفِينَ، فَكَانَ صَمتُهُمْ فِكْرَةً، وَحِوَارُهُمْ ذَا أَثَرٍ وَثَمَرَةً، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ فَهُوَ لِلْحَمْدِ أَهلٌ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى جَزِيلِ النِّعَمِ وَوَافِرِ المِنَنِ، وَنَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ الصَّادِقُ الأَمِينُ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَعَلَى كُلِّ مَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

---

(١) سورة هود / ٤٢ .

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ:

إِنَّ المُرَبِّيَ العَاقِلَ لَيُدْرِكُ تَوَجُّهَاتِ طِفْلِهِ وَاحتِيَاجَاتِهِ، وَإِنَّهُ لَحَرِيٌّ بِهِ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ نَصِيبَهُ فِي الحِوَارِ، فَلَيْسَ مِنَ التَّرْبِيَةِ فِي شَيْءٍ أَنْ يَصُبَّ الأَبُ كَلامَهُ صَبًّا عَلَى الطِّفْلِ، مُستَعْمِلاً القَمْعَ وَالكَبتَ أَدَاتَيْنِ يَظُنُّ أَنَّهُمَا أَفْضَلُ عِلاجٍ لأَخْطَاءِ الابْنِ، وَخَيْرُ مَا يُستَعَانُ بِهِ عَلَى تَقْوِيمِ سُلُوكِهِ، إِنَّ ابنَكَ – أَيُّهَا المُرَبِّي الكَرِيمُ– بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يَستَمِعُ إِلَيْهِ، وَيَتَفَهَّمُ الصُّعُوبَاتِ الَّتِي رُبَّمَا يُوَاجِهُهَا فِي شُؤُونِهِ وَعَلاقَاتِهِ، أَوِ العَقَبَاتِ الَّتِي قَدْ تَعتَرِضُ طَرِيقَ نَجَاحَاتِهِ، فَلْتُعْطِ لِكَلامِهِ كُلَّ اهتِمَامِكَ وَتَقْدِيرِكَ، وَلْتُنَاقِشْهُ فِيمَا يَقُولُ بِكُلِّ احتِرَامٍ لِرَأْيِهِ وَشَخْصِهِ، فَإِنَّ لِذَلِكَ أَثَرًا نَفْسِيًّا طَيِّبًا يُسْهِمُ فِي تَحقِيقِ مَا تَأْمُلُ مِنْهُ، وَمَا يَأْمُلُهُ هُوَ مِنْ نَجَاحٍ، وَكُلُّكُمْ – يَا رَعَاكُمُ اللهُ– تَعلَمُونَ قِصَّةَ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ أَبِي الوَلِيدِ الَّذِي جَاءَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ المَالَ وَالجَاهَ لِيَتَخَلَّى عَنْ رِسَالَتِهِ وَنُصْحِهِ، فَمَعَ أَنَّ المُصْطَفَى ﷺ يَعلَمُ أَنَّ أَبَا الوَلِيدِ لَنْ يَأْتِيَ بِجَدِيدٍ، وَأَنَّ كُلَّ مَا سَيَعْرِضُهُ مَرفُوضٌ سَلَفًا؛ ظَلَّ يَستَمِعُ إِلَيْهِ إِلَى أَنِ انْتَهَى مِنْ عَرْضِهِ وَاقْتِرَاحَاتِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ بِكُلِّ هُدُوءٍ: ((أَفَرَغْتَ يَا أَبَا الوَلِيدِ؟))، إِنَّ قَاعِدَةَ الاحتِرَامِ المُتَبَادَلِ هِيَ سَيِّدَةُ المَوقِفِ فِي الحِوَارِ مَعَ الأَبنَاءِ، وَكُلَّمَا أَحَسَّ الطِّفْلُ بِاحتِرَامِهِ وَقِيمَتِهِ؛ أَفْرَغَ مَا عِنْدَهُ بِكُلِّ صَرَاحَةٍ، وَتَقَبَّلَ النُّصْحَ وَالإِرشَادَ بِكُلِّ رَحَابَةٍ، فَلا مَكَانَ فِي التَّرْبِيَةِ لِلْحِوَارَاتِ القَائِمَةِ عَلَى التَّحقِيقِ وَالبَحثِ عَنِ الأَخْطَاءِ، فَإِنَّ هَذَا الأُسلُوبَ يُجْبِرُ الطِّفْلَ عَلَى أَنْ يَكُونَ فِي مَوقِعِ المُتَّهَمِ، وَيَأْخُذَ مَوقِفَ الدِّفَاعِ عَنِ النَّفْسِ، وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ قَد تُؤَدِّي إِلَى أَضْرَارٍ غَيْرِ مُتَوَقَّعَةٍ، فَالوَلَدُ يُرِيدُ صَدِيقًا يَفْهَمُهُ، لا فَرْدًا يُرَاقِبُهُ، وَلِذَلِكَ يَبْحَثُ الوَلَدُ فِي بَعْضِ سِنِيْ عُمُرِهِ كَالمُرَاهِقَةِ عَنِ الصَّدَاقَاتِ خَارِجَ البَيْتِ، وَيُصْبِحُ الأَبُ مَعْزُولاً عَنِ ابنِهِ فِي أَخْطَرِ مَرَاحِلِ حَيَاتِهِ، وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ لَنْ يُعَوِّضَ الأَبُ فُرْصَةَ الصَّدَاقَةِ الَّتِي أَضَاعَهَا بِيَدِهِ فِي أَيَّامِ نُضْجِ ابنِهِ.

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ :

إِنَّ لِلْحِوَارِ الهَادِئِ الهَادِفِ مَعَ الأَبنَاءِ ثَمَرَاتٍ طَيِّبَةً، يَعُودُ نَفْعُهَا عَلَى الابْنِ وَأُسْرَتِهِ وَمُجتَمَعِهِ، فَقَدْ أَثْبَتَتِ الدِّرَاسَاتُ الاجتِمَاعِيَّةُ أَنَّ الأَبْنَاءَ الَّذِينَ اعتَادُوا إِجْرَاءَ حِوَارَاتٍ مَعَ

آبَائِهِمْ خِلالَ مَرْحَلَةِ طُفُولَتِهِمْ أَقْدَرُ كَثِيرًا عَلَى فَتْحِ حِوَارَاتٍ وَمُصَارَحَاتٍ وَاسِعَةٍ فِي مُستَقْبَلِ أَعْمَارِهِمْ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ تِلْكَ الحِوَارَاتِ أَكْسَبَتْهُمْ ثِقَةً بِأَنْفُسِهِمْ، وَاتِّزَانًا فِي مَشَاعِرِهِمْ وَعَوَاطِفِهِمْ، وَفِي مُقَابِلِ ذَلِكَ نَجِدُ الأَبْنَاءَ الَّذِينَ تَرَبَّوا عَلَى القَمْعِ وَالكَبْتِ يَتَرَدَّدُونَ فِي مَوَاقِفِهِمْ، وَرُبَّمَا اضْطَرَبُوا فِي سُلُوكِهِمْ، حَيْثُ أُمْلِيَ عَلَيْهِمْ مَا لَمْ يَقْتَنِعُوا بِهِ، وَفُرِضَ عَلَيْهِمْ مَا لَمْ يَستَسِيغُوهُ فِكْرِيًّا وَعَمَلِيًّا، وَإِنَّ مِنَ المُقَرَّرِ تَرْبَوِيًّا أَنَّ نَبتَةَ الإِبْدَاعِ وَتَنْمِيَةَ القُدُرَاتِ إِنَّمَا تَقُومُ أَرْكَانُهَا عَلَى الإِيْمَانِ بِالذَّاتِ وَالثِّقَةِ بِالنَّفْسِ.

فَاتَّقُوا اللهَ –عِبَادَ اللهِ–، وَافْتَحُوا آفَاقَ الحِوَارِ البَنَّاءِ الهَادِفِ مَعَ أَبنَائِكُمْ، مُرَاعِينَ ضَوَابِطَهُ وَقَوَاعِدَهُ؛ تَرَوا مَا يَسُرُّكُمْ مِنْ ثَمَرَاتِهِ فِي أَبنَائِكُمْ، وَتَقْوَ الوَشِيجَةُ الأَبَوِيَّةُ، وَتَرتَقِ العَلاقَةُ الأُسْرِيَّةُ.

هَذَا وَصَلُّوْا وَسَلِّمُوْا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِيْنَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيْمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، فِي العَالَمِيْنَ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنْ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ فِيْنَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُوْمًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى.

---

(١) سورة الأحزاب / ٥٦ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلاًّ مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيْبًا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِيًا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيْمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِيْنًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلاَلاً طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِيْنَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوْفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلاَمَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِيْنَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِيْنَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الخَاسِرِيْنَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ مُجِيْبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.